الإهداء

إلى أخى الذى لم تلده أمى.

إلى أحد رفقاء الدرب العظام.

إلى من كان ولا يزال ناصحاً أميناً لى ولغيرى .

إلى من أتتنى منه البشرى تلو البشرى بكل خير.

إلى أحد أعلام المدرسة المحمودية التاريخية.

المؤرخ الفذ والصديق الجميل ... دكتور سند عبدالفتاح

وفاءً وعرفاناً بالجميل.... فى زمن ندر فيه مثلك.

مقدمة

نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية ، إذ بدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهت بمقتله ، وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة ، اتهمه البعض بأنه مالأ قتلة عثمان ، ولم يقتص منهم ؛ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً . ثم وقع قتال بين علي ومعاوية ، وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة ، وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج والشيعة .

برزتالخوارج كأول فرقة وعرفوا بالناصبة أيضاً لمناصبة علياً رضي الله عنه وآله العداء وأما الفرقة الثانية : فهى الشيعة ، وقد افترقوا على فرق عدة أقلها غلّواً من قال منهم بأن عليًا أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر مثل الزيدية .

وظهرت بعد ذلك المعتزلة التي تنادي بالإرادة الإنسانية المطلقة ، لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حراً مختاراً وهذه الحرية هي أساس التكليف وعليها يترتب الحساب والعقاب ثم أثيرت مسألة صفات الله وكلامه ، ومسألة خلق القرآن ، أهو مخلوق أم قديم ؟ في العصر الأموي على يد الجهم ابن صفوان والجعد بن درهم ، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي ، وكانت له آثاره البعيدة على العالم الإسلامى بأكمله بما فيه الأندلس .

تعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية ، فأصبحت الفرقة فرقاً متعددة ، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة . منها : الواصلية ورائدها واصل بن عطاء ، والهذلية ورائدها أبو الهذيل العلاف ، وانقسمت الشيعة إلى فرق أقل غلواً وفرق غالية انحرفت كلياً عن طريق الإسلام مثل الإسماعيلية والنصيرية والدروز

وغيرهم . ثم ظهرت الأشاعرة والماتريدية للتصدي للفلاسفة والباطنية والرافضة والمعتزلة، فكان لهم جهدهم المشكور.

انتقلهذا المعترك العقائدى برمته إلى الأندلس تباعا ، وكان للمشرق أثره الكبير فى ذلك بدءً من حركة الجيوش الإسلامية المتجة من المشرق إلى الأندلس ، ومروراً بالحراك العلمى المتمثل فى رحلات الأندلسيين إلى المشرق ، والذين كانوا يعودون لبلادهم وقد حملوا أفكاراً عن الفرق الإسلامية إما من خلال الشيوخ المشارقة أومن خلال المصنفات التى وقفوا عليها بالمشرق وحملوها إلى الأندلس ، وراح كل فرد يتحدث عما تأثر به حسب عقليته فمنهم من حمل فكر فرقة بأكملها كابن مسرة الأب المعتزلى والذى ترك أثراً كبيراً على ابنه محمد بن عبدالله بن مسرة الفيلسوف الشهير الذى كان له أثر كبير بالأندلس فى عصر الخلافة ، ومنهم من تأثر بها فى مسألة كالمنذر بن سعيد البلوطى قاضى القضاة فى عصر عبدالرحمن الناصر ، ومنهم من خلط بين مذهبه الفقهى وبين معتقده الجديد الذى ورثه فصار يلقب بالمالكى الأشعرى كأبى الوليد الباجى وابن سهل الجيانى والقاضى ابن العربى .

الجدير بالذكر أنه على قدر مخاطر الفرق الإسلامية فقد لعبت دوراً مهما فى تنوير العقلية الإسلامية بالأندلس من خلال الفعل ورد الفعل ، إذ تعددت المناظرات والردود بين أتباع هذه الفرق وبين معارضيها من فقهاء أهل السنة لا سيما فقهاء المالكية الذين كانت لهم حظوة وسطوة فى المجتمع الأندلسى ، مما كان له أثره الكبير فى تضلع الكثير من الفقهاء السنة لمواجهة المخاطر العقدية للفرق الإسلامية ، والتى واجه أتباعها اتهامات بالزندقة والمروق من الدين ، فضلا عن التنكيب والاضطهاد من قبل حكام الأندلس .

أما عن أسباب ولوج هذا الموضوع واختيارة كدراسة علمية فيمكن أن نحصرها فى النقاط التالية :

1- إبراز الأثر الفكرى للفرق الإسلامية فى المجتمع الأندلسى من خلال حوارات أتباعها مع مخالفيهم وكذا الردود التى وقعت بينهم وبين المالكية وغيرهم .

2- تحقيق التنوع الثقافى من خلال طرح أفكار جديدة فقهيا وعقديا تضاف للتراث المتعارف عليه عند المالكية وغيرهم من أهل السنة .

3- إظهار الدور السياسى لأتباع الفرق الإسلامية والذى تمثل فى بعض الأفراد التى نجحت فى تكوين ما يمكن أن نصطلح على تسميته بالكيانات ، وموقف النظام الحاكم تجاه ذلك.

4- عدم تعرض الدارسين لهذا الموضوع من قبل باستثناء بحثين لأحد أساتذتنا الكبار – وهو العلامة الدكتور محمود مكى رحمه الله –أحدهما حول التشيع فى الأندلس حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، والثانى عن الخوارج فى الأندلس ، ومن ثم فالمكتبة العربية فى حاجة لدراسة تفصيلية عن الفرق الإسلامية فى الأندلس ، لا سيما بعد أن صدر لنا عدة كتب عن دار الآفاق العربية تعالج موضوعات فكرية وحضارية ومنها كتابنا " ابن حزم الظاهرى وأثره فى المجتمع الأندلسى" ، وكتابنا " الظاهرية والمالكية وأثرهما فى المغرب والأندلس فى عهد الموحدين" ، وكتابنا " تاريخ أهل الظاهر " ، فكان لزاما علينا بعد صدور هذه الكتب وشروعنا فى موسوعتين إحداهما عن تاريخ الأندلس والثانية عن تاريخ المغرب أن نخص الفرق الإسلامية وأثرها فى المجتمع الأندلسى بدراسة مفصلة ، وذلك فى إطار مشروعنا الفكرى الذى نهدف من ورائه إلى تغطية تاريخ الأندلس تغطية حضارية متكاملة.

5- كان للبحث الذى ألقيناه بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ضمن الموسم الثقافى لسيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط من العام 2014م . تحت عنوان : " الفرق الإسلامية بالأندلس فى عصر الخلافة" أثر كبير فى توجيهى لضرورة تناول الموضوع بصورة

أرحب لا سيما بعد أن حصلت على منحة تفرغ من المجلس الأعلى للثقافة لدراسة هذا الموضوع عبر تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط.

وقد عالجناهذا الموضوع عبر تاريخ الأندلس بدءً من الفتح الإسلامى فى العام 92هـ ومرورا بالعديد من العصور حيث عصر الولاة فعصر الإمارة فعصر الخلافة فعصر ملوك الطوائف فعصر المرابطين ثم الموحدين ثم دولة بنى نصر والتى بسقوطها سقطت الدولة الإسلامية فى الأندلس .

وتكمن مشكلة هذه الدراسة فى أن الحديث عن الفرق الإسلامية يتطلب جهداً كبيراً ممن ينتحى لمعالجة هذه الموضوعات لا سيما وأن العديد من الفرق الإسلامية لا تزال معلوماتنا عنها شبه مضببة إن لم تكن مضببة بالفعل ، فقد حرصت بعض الفرق على أن تنغلق على نفسها ولا تفشى أسرارها وأفكارها إلا لأتباعها ، كما أن مخالفيها لم يكونوا على دراية كاملة بأفكارهم ، ومن ثم يضطر من يخوض فى هذه الموضوعات أن يكون على دراية قدر استطاعته بما كان عليه أتباع هذه الفرق ، وبما نقل خطأ عنهم من قبل مخالفيهم .كما أن هذه الموضوعات تحتاج لدراية شبه كاملة بفقه هذه الفرق وفقه مخالفيها للتعرف على أثرها السياسى والفكرى فى المجتمع الأندلسى إذ الفقه هو كرش المجتمع ، ومن أراد أن ينتقل من المصادر التقليدية لتدوين التاريخ فعليه أن يعكف على كتب النوازل ومصنفات الفقهاء التى تحوى مادة ضافية بخصوص هذا الشأن ، ولا يخفى على أحد صعوبة هذا الأمر الذى يحتاج من الجهد والوقت الكثير للوقوف على المعالم الفقهية لكل فرقة ومذهب طيلة مرحلة الدراسة .

ويرتبط بهذه المشكلة مشكلة أخرى وهى محاولة إنزال النازلة الفقهية التى نتعامل معها على الواقع التاريخى ، ولكى يتثنى لنا فهم ذلك اضطررنا للوقوف على تاريخ وحضارة الفترة التى نعالج فيها هذا الموضوع ، ليسهل علينا مناقشة النازلة والتعرف على أسبابها من خلال الواقع التاريخى ، ونتائجها ، هل بالسلب أم بالإيجاب .

ومن أوجه المشكلات أن معظم علماء وفقهاء الفترة موضوع الدراسة كانوا مالكيين – إذ من المتعارف عليه أن الأندلس دانت طيلة تاريخها للمذهب المالكى باستثناء بضعة عقود بعد الفتح الإسلامى كانت فيها أوزاعية ، وعصر الدولة الموحدية التى كانت ظاهرية المذهب –، ومعروف عن المذهب المالكى جموده بعض الشىء فى التعامل مع ما يخالفه من مذاهب أهل السنة ، فكيف بالمخالفين له من غير أهل السنة ؟!!! فهذا يلقى بالعبء الأكبر على من يلج مثل هذه الموضوعات كى يصل لحقيقة الحكم الصحيح بشأن المخالفين ، وهل كانت المالكية محقة فى موقفها من أتباع الفرق الإسلامية أم لا ؟ .

وقد اعتمدنا فى دراستنا هذه على منهج استقرائى تحليلى ، يعمد إلى تحليل الحدث السياسى والنازلة الفقهية وردها إلى أصولها ودوافعها ، كما تم الاستعانة بالمنهج النقدى فى مناقشة الروايات التاريخية المختلفة والآراء الفقهية والعقدية ، لترجيح رواية على أخرى ، وتغليب رأى على آخر اعتماداً على الأصول والمصادر التى توضح ذلك.

هذا وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة ،وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

تناول التمهيد : طرق دخول الشيعة والخوارج إلى الأندلس

وعالج الفصل الأول وعنوانه : الفرق الإسلامية نشأتها وتطورها بالأندلس ؛ عدة مباحث هى: الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والأشعرية ، والمرجئة .

وانتظم الفصل الثانى وعنوانه : الآثار الفكرية للفرق الإسلامية ؛ عدة مباحث هى : المفاضلة بين الصحابة ، والحرب بين على ومعاوية، وعقيدة المهدى المنتظر ، ومآتم الحسين " الحسينية " ، وتأثر الثقافة والأدب الأندلسى بالفكر الشيعى ، والإنتاج الفكرى والثقافى لأتباع الفرق الإسلامية

واهتم الفصل الثالث وعنوانه : الأثر السياسى للفرق الإسلامية فى المجتمع الأندلسى ؛ بتفصيل الحديث عن :ثوراث الشيعة والخوارج ، والتحالف بين شيعة المغرب والأندلس

لإسقاط الخلافة الأموية ، وقيام دولة للشيعة بالأندلس ، ووصول الخوارج الأباضية النكار للحكم فى الأندلس ، ومحاولات المعتزلة الإطاحة بالخلافة .

وجاء الفصل الرابع وعنوانه : موقف أهل السنة بالأندلس من الفرق الإسلامية ؛ فى عدة مباحث هى :موقف أهل السنة من الشيعة وطقوسهم ، وموقفهم من الخوارج ، وموقفهم من المعتزلة ، وموقفهم من الأشعرية.

واختتمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم النتائج والاستنتاجات التى توصلت إليها.

وأخيراً آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً بشأن هذا الموضوع الملغز ، وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن الأندلس من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة الأندلسية خاصة ، والله تعالى أسأله التوفيق والسداد فى سائر أعمالنا .. إنه ولى ذلك والقادر عليه .

دكتور

عبدالباقى السيد عبدالهادى